مقالات (في عين العاصفة) لغازي القصيبي
دراسة تداولية

د. دوش بنت فــلاح الـدوســري
قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

مقالات (في عين العاصفة) لغازي القصيبي –دراسة تداولية–

د. دوش بنت فلاح الدوسري

قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

تاريخ تقديم البحث: ٨/ ٣/ ١٤٤١ هـ تاريخ قبول البحث: ١٠/ ٢/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

يطمح هذا البحث إلى دراسة مقالات (غازي القصيبي): (في عين العاصفة)، التي كتبها أثناء أزمة الخليج (١٩٩٠م)، حين غزتْ العراق الكويت، وانتقل هذا الاعتداء إلى تهديد جيرانها، ومن ضمنهم (المملكة العربية السعودية).

وهذه الدراسة، تعتمد المنهج التداولي، الذي يركز في دراسة الخطاب، والعلاقات بين المتكلم والمخاطب، وتحليل اللغة في هذه المقالات، وتمثلت في: الحجاج، أفعال الكلام، المعينات الإشارية.

للإبانة عن إستراتيجية الخطاب عند (القصيبي) في مقالاته، وكيف توجّه للمتلقي: مُقنعًا ومحفزًا ومؤثرًا.

الكلمات المفتاحية: مقالة، تداولية، حجاج، خطاب، أفعال الكلام، المعينات الإشارية، التكرار، القياس، الدليل، البوحيَّات، الإشاريات الشخصية، الإشاريات المكانية، الإشاريات الزمانية.

Articles (In The Eye of The Storm) Ghazi Al–Gosaibi Pragmatic Study

Dr. Doash Falah Al-Dossary
Department of Arabic Language - College of Arts
Princess Nora bint AbdulRahman University

Abstract:

This research aims to study the article: "In The Eye of The Storm" by Ghazi Al-Qusaibi, which he wrote during the Gulf crisis (1990) when Iraq invaded Kuwait, and this attack affected its neighbors, including (Saudi Arabia).

This study adopts the pragmatics approach, which focuses on, the study of discourse, the relations between the speaker and the addressee, and language analysis in these articles, represented in the debate, verbs of speech, indicative aids.

To express the strategy of the discourse of (Algosaibi) in his articles, and how to address the recipient: convincing, motivating, and influential.

key words: ESSAYK, DELIBERATIVE, ARGUMENT, SPEECH , ACTIONS OF SPEECH , DEIXIS, RECURRENCE , MEASUREMENT , EVIDENCE , DISCLOSURES , PERSONAL DEIXIS, SPECIAL DEIXIS, TEMPORAL DEIXIS

المقدمة

إن مقالات (في عين العاصفة) مقالات مهمة، لها خطرها وأثرها، حيث كتبها (غازي القصيبي) – رحمه الله – في صحيفة (الشرق الأوسط)، أثناء غزو (صدام حسين) للكويت، بين (١٩٩٠/٨/٢٠م – ١٩٩١/٧/١٤م)[١].

وكان عنوانها: (في عين العاصفة)، أخذًا من اسم الحرب آنذاك (عاصفة الصحراء)، ثم مع حرب التحرير، غيَّر المسمَّى إلى (بعد هبوب العاصفة)، وبعد التحرير؛ أصبح اسمها (على نار هادئة)[٢].

وقد كانت هذه المقالات، كما يصفها (عثمان العمير) رئيس تحرير (الشرق الأوسط) آنذاك: "انعطافة مفصلية بالنسبة للثقافة الخليجية على الأقل؛ فقبل (غازي القصيبي)؛ كان الخليج يعاني من عقدة الصوت الخفيض إعلاميًّا، بل كان مستهلكًا، يتبضع سمعته وصورته من الآخرين، وبعد (غازي) اكتشف أنه يمكن له الاكتفاء وحده، والتعبير عن ذاته، دون الحاجة للسوق المتواجدة في أزقة القاهرة وبيروت وباريس ولندن"[٣].

وتشكل هذه المقالات وثيقة تاريخية وسياسية وأخلاقية ووطنية وإنسانية مهمة جدًّا، وفيها قيم متوهجة دفاعًا عن (الكويت)، وعن الوطن (السعودية) أيضًا الذي لم يكن بعيدًا عن هذا الخطر والتهديد، حربيًّا وإعلاميًّا من جهات كثيرة معادية.

---

(١) انظر: في عين العاصفة، غازي القصيبي، الغلاف الأخير.

(٢) انظر: السابق، الغلاف الأخير.

(٣) السابق، ص١٣.

وهذا ما يبرز دور (غازي القصيبي) – رحمه الله – إنسانًا وأديبًا مؤثرًا، على المستوى الجمالي، والفكري.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن إستراتيجيات الخطاب التي تجسَّدت في هذه المقالات، حيث تحليل الجانب التداولي فيه، ودراسة تلك العلاقات بين المخاطِب والمتلقي، عبر دراسة أساليب الحجاج، وأفعال الكلام، والمعينات الإشارية، التي تبرز عملية التواصل بين طرفي الخطاب، ومدى التفاعل الخطابي.

المنهج المستخدم في البحث:

وظفت المنهج التداولي في تحليل الخطاب في مقالات (القصيبي).

والتداولية لغةً:

من الدَّولة: اسم الشيء الذي يُتداوَل. وتداولته الأيدي: أخذتْه هذه مرَّة، وهذه مرَّة. وصار (الفيء) دولةً بينهم، يتداولونه مرة لهذا، ومرة لهذا. و(دواليك): أي تداولاً بعد تداول[1].

والتداولية (اصطلاحًا):

"تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب، وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص"[2].

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (د. و. ل).

(٢) نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، جميل حمداوي، ص٣٩٩.

والجامع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي هو (الاستعمال)، ففي التداول: استعمال للشيء، وفي التداولية تركيز في دراسة اللغة حال استعمالها.

فالتداوليات "تهتم بكل أشكال التفاعل الاجتماعي، والتفاعل الخطابي، ودراسة المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ ...، إنها تهتم بالعملية التواصلية في كل أبعادها النفسية والاجتماعية والإيديولوجية، وبدراسة العلاقة بين اللغة والسياق ....، بذلك أمكننا القول: إن التداوليات هي علم الاستعمال اللغوي"(١).

ومن هنا كان اختيار هذه المنهجية، حيث الكشف عن التقنيات التي اختارها الكاتب؛ للتأثير في المتلقي، وإقناعه، وإفهامه،ودراسة هذه العملية التواصلية بين المؤلف والمتلقي في كل أبعادها وسياقاتها.

فالتداولية "تحلِّل ما يحدث على المستويين النفسي والاجتماعي أثناء استعمال العلامات، ساعية إلى وصف المنافع التي يسعى إليها المتكلم أو المتلفظ، ووصف الآثار التي يمكن أن ينتجها المتكلم نفسه في المرسل إليه أو المخاطب"(٢).

* * *

(١) التداوليات، حافظ علوي وآخرون، ص٣.

(٢) المقاربة التداولية للأدب، إلفى بولان، ص٣٧.

تمهيد

حريٌّ بي أن أقف – في بداية هذا البحث – عند صاحب هذه المقالات:

غازي القصيبي:

إنَّه شخصيَّة متعدِّدة المواهب والاهتمامات؛ فهو رجل دولة، ودبلوماسي، وسياسي، ووزير وأديب أيضًا. ولد في الأحساء عام ١٩٤٠م. والقصيبي شاعر ذو نتاج غزير، وروائي، وكاتب مقالة. من دواوينه: قطرات من ظمأ، مرثية فارس سابق، حديقة الغروب .... وغيرها.ومن رواياته: شقة الحرية، العصفورية .. وغيرها. توفي عام ٢٠١٠م، رحمه الله رحمة واسعة[١].

وعلى الرغم من أن للقصيبي بوادر سابقة للكتابة الصحفية قبل هذه الأزمة، فإن لهذه المقالات شأناً وتقديراً خاصين عند الجمهور، وعند القصيبي أيضًا، حيث يقول: "ولابد أن نعتذر لأصحابنا من الصحفيين .. فنحن من أمة اشتهرت بالنبوغ .. فلماذا لا ننبغ نحن في الكتابة الصحفية في سن الخمسين"[٢].

ومن هنا نحن بحاجة إلى الوقوف عند هذا الفن الذي وظفه (القصيبي) على مدى هذه الأزمة، وهو (فن المقالة)، ولماذا كان له هذا الحجم؟!.

---

(١) انظر: قاموس الأدب والأدباء في المملكة، دارة الملك عبد العزيز، ١٣٨٩/٣ – ١٣٩١.

(٢) في عين العاصفة، ص٢٤٥.

المقالة:

والمقالة هي: "قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع؛ تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيرًا صادقًا عن شخصية الكاتب"(١).

ومقالات القصيبي هذه؛ تنتمي للمقالة الموضوعية، التي تُعنى بتجلية موضوعها بسيطًا واضحًا، وتتقيَّد بما يتطلبه الموضوع من منطق في العرض والبحث والجدل وتقديم المقدمات واستخراج النتائج(٢).

ولا شك في أن المقالة هي الأكثر مُنَاسبة بين الفنون، عندما يريد الكاتب التواصل الفاعل مع المتلقي، لما فيها من سمات تساعد على هذا: الوضوح، الترتيب، المنطق، عرض الحجج، الاستنتاج ... وغيرها.

وإذا كان الشعر الغنائي يحقق الوظيفة الانفعالية للتأثير في المتلقي؛ فإن (المقالة) تحقق الوظيفة الإقناعية الإفهامية للتأثير فيه(٣)، لطبيعتها الخاصَّة، ما يحقق الهدف المنشود من هذه المقالات التي نهضت لتؤدي مهامها الإنسانية والوطنية، في الدفاع عن الحق، وعن المظلومين، والذود عن الوطن العزيز، وذلك بالتأثير في جمهور المتلقين عمومًا.

وفيما يلي؛ نشرع في تحليل تلك المقالات، وفق آليّات الخطاب التالية:

---

(١) فن المقالة، محمد نجم، ص٧٦.

(٢) انظر حول المقالة الموضوعية: المصدر السابق، ص٧٨.

(٣) انظر: حول وظائف اللغة : قضايا الشعرية، ياكبسون، ص٣٢ – ٣٣.

١- الحجاج:

الحجاج لغةً:

الحُجَّة: البرهان، وجمعها: حُجَج، وحاجَّه مُحاجَّةً، وحجاجًا: نازعه الحجَّة[١].

الحجاج اصطلاحًا:

"فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعّالة، تستلزم وجود أطراف تواصليَّة بينها قواسم حجاجية مشتركة، إذ يمتلك المرسل الخطيب مؤهلات معرفية وأخلاقية كفائية، ويستعمل في حجاجه اللوغوس الاستدلالي؛ بغية إقناع الآخر"[٢].

والحجاج ليس "ظاهرة فكرية حديثة، بل له امتدادات قديمة، خاصة عند اليونان والرومان والمسلمين، ويتجلى الحجاج واضحًا في ثقافتنا العربية الإسلامية في علم الكلام والفلسفة ..."[٣].

وتنطلق أهمية الحجاج من كون الغرض الأساسي من الخطاب غالبًا، يتمثل في "الإقناع الذي يؤدي إلى اتخاذ سلوك معيَّن إزاء القضايا المطروحة، أو على الأقل الاقتناع بالأقوال والعمل وفقها"[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب، (ح . ج. ج).

(٢) من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، ص٢٨.

(٣) المصدر السابق، ص١٠.

(٤) التداولية وإستراتيجية التواصل، ذهبية الحاج، ص٣٤١.

إن توظيف الحجاج في هذه المقالات أمر مهم، وبدهي، وقد استلزم وجوده: الظروف التي كان يمرُّ بها العالم العربي، أثناء هذه الأزمة، فهي ظروف غريبة، حارت فيها الأفهام، كيف لعربي أن يعتدي على عربي آخر، ويحتلَّ أرضه! وكيف للعرب أن يستعينوا بقوى أجنبية لإخراج هذا المحتل؟!

فكان لابد من قوة عقلية، حجاجية، تطرح الحجج والبراهين لإثبات عدالة القضيَّة الكويتية، وللدفاع عن الوطن المهدَّد حربيًّا، والمحارب إعلاميًّا من بعض العرب، ولإفحام المعارضين للتدخل العسكري لتحرير الكويت، ولإقناع الجمهور العربي والمتلقين لتلك المقالات بشكل عام، بكل ما لدى المؤلف من أفكار، وموضوعات، وآراء. بالإضافة إلى أهمية الأساليب الحجاجية اللغوية أيضًا.

وفيما يلي تحليل لأهم آليات الحجاج في هذه المقالات.

١-١ حجَّة الدليل:

وهي الأدلة التي يضعها الكاتب محتجًّا بها؛ على الأفكار التي يريد إقناع المتلقي بها.

ومن هذه الأدلة: النصوص الدينية، والشعرية، والنثرية، كالحكم والأمثال[١].

(١) ويسميها بعضهم التناص. انظر: إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ٣٢٩/٢ – ٣٣٦. وانظر أيضًا: حول توظيف التناص في الحجاج: حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، أميمة صبحي، ص٢٠٤.

وهذه "الحجج الجاهزة أو الشواهد هي من دعامات الحجج القوية؛ إذ يضعها المرسل في الموضع المناسب؛ وهنا تتبدَّى أهليته وبراعته في توظيفها؛ حسبما يتطلب السياق"[١].

وحجة الدليل تتخذ مكانًا عاليًا في السلم الحجاجي، لكونها تعلو الكلام العادي[٢].

وقد امتلأت المقالات بهذه الأدلة المتنوعة: من القرآن الكريم والتفاسير، وحكايات من التراث العربي، ومن الشعر العربي حديثه وقديمه ... وغيرها. ونلحظ توظيفه للشاهد الشعري بشكل كبير، والقديم منه تحديدًا. ولا غرابة في هذا؛ فالقصيبي شاعر، ممتلئ بالشعر ذاكرةً ورؤية، وهو مثقف شامل واسع الثقافة أيضًا، وبالتالي سيكون جريان الشعر سهلاً وعفويًّا في ذاكرته.

ومن جهة أخرى؛ فإنَّ لتوجُّه المقالات للقارئ العربي تحديدًا، أثره النفسي في الإقناع، فإن للشعر عند العرب وجاهته واعتباريته، منذ القديم، فقد كان للعرب "فخرها العظيم"، كما وصفه ابن رشيق ت/٤٥٦هـ[٣]. وكان ديوان العرب، وعلمها الأثير.

وبالتالي فإنه يقوم مقام الحكمة كثيرًا، وتسلم العقول بحجيته، ومن ثمَّ، يعمل أثره في المتلقي.

---

(١) إستراتيجة الخطاب،عبد الهادي الشهري، ٣٢٨/٢.

(٢) انظر: السابق، ٣٢٩/٢.

(٣) العمدة، ابن رشيق، ٢٦/١.

ونلتمس في حديث الرسول ﷺ عن الشعر حين قال – عليه الصلاة والسلام –: "إن من البيان سحرًا، وإن من الشعر حكمة"[١] الطاقة التأثيرية للشعر في نفوس المتلقين، ومن ثم يكون توظيفه في (الحجاج) له أهميته وخطره.

ولا شك؛ أن هذه الأهمية للشعر ، وإن خفتتْ حديثًا بدرجة أقل، فإنَّ آثارها لا تزال باقية، وهيبة الشعر لا تزال حاضرة.

في أول مقالاته؛ يعنون القصيبي للمقالة بـ(المحايدون)، يتحدَّث عمَّن أسموا أنفسهم بالمحايدين في هذه القضية العظيمة، التي لا يخفى على عاقل منصف عدالتها. وإنَّما هربت هذه الفئة من إعلان الحق والعدل؛ تحت حجة (الحياد).

وكانت مهمة القصيبي في هذه المقالة تفنيد حججهم في الحياد، وإقناع المتلقي بأن العقل السليم، لا يملك إلا صوتًا واحدًا في هذه القضيَّة، وهو رفض هذا الاحتلال.

وقد بدأ مقالته بجملة صارمة قوية، تحمل حكمًا قويًّا تجاه (الحياد): "قد يكون الحياد أعنف أنواع التدخل وأخطرها، وأقل المواقف أخلاقية، وأكثرها انتهازية"[٢].

---

(١) صحيح الأدب المفرد ، البخاري ، ص٣٢٤

(٢) في عين العاصفة، ص١٧.

ثم ذكر بعض الحجج المقنعة: "عندما تشهد إنسانًا يحمل (تنكة) كيروسين وعود ثقاب، ويتجه إلى مسجد ليحرقه؛ وتعلن أنك على الحياد؛ فقد قررت بإعلانك هذا أن تقف مع مرتكب الجريمة ضد المسجد"(١).

وهو هنا يثير الحس الإنساني والديني معًا بقياس التمثيل، الذي يجسِد في صورة قصصيَّة سلبيةَ هذا الحياد، بل انحيازه نحو المجرم الحقيقي.

حتى ينهي مقالته بحجة الدليل الشعري:

"أيها المحايدون

يرى الجبناء أن العجز عقل

وتلك خديعة الطبع اللئيم

رحم الله أبا الطيب"(٢).

وللعكبري (ت/ ٦١٦هـ) تعليق لطيف على هذا البيت للمتنبي (ت/ ٣٥٤هـ) يؤازر حجيته هنا، حيث يقول:

"لؤم طبع الجبان يريه العجز عقلاً؛ حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل، وليس كذلك، وإنما ذلك لسوء طبعه الرديء"(٣).

إن القصيبي – في دفاعه عن وطنه وعن الكويت والخليج عمومًا – يوجِّه خطابه – بشكل غير مباشر – إلى الصامتين الجبناء المخادعين العاجزين عن

(١) المصدر السابق، ص١٧.

(٢) في عين العاصفة، ص١٨.

(٣) ديوان المتنبي بشرح العكبري، ٢/٢٤٨ – ٢٤٩.

قول الحق، تحت حجة (الحياد)؛ موظفًا الدليل الشعري الذي يحمل معه حجيته.

ولنلحظ أنه لم يصفهم بالجبن ولا بالضعف ولا بالعجز، بشكل صريح، وإنما وظف هذا الدليل ليقوم بالمهمة، بلماحية وذكاء.

ولنلحظ قسوة الألفاظ التي تدينهم: الجبن، العجز، الخديعة، اللؤم. حيث تأتي كلها لتدينهم، وتبين عوارهم، بينما كانوا يظنون أنهم يسترون سوءاتهم بالحديث عن الحكمة والعقل ، تحت مسمَّى (الحياد).

فهذه الظروف واضحة المعالم، بيّنه الأطراف، من معتدٍ ومعتدَى عليه، وبالتالي فقد كانت بحاجة إلى رجال شجعان يجهرون بالحق.

فهذا الدليل الشعري تقنية حجاجية عظيمة الأثر، تؤثر في المخاطَب؛ وتمنح المخاطِب قوة سلطوية، حيث "تسهم هذه الآلية في رفع ذات المرسل إلى درجة أعلى، وبالتالي منحها قوة سلطوية بالخطاب، عند التلفظ بخطاب ذي بعد سلطوي في أصله .. وبالتالي تصبح السلطة هي سلطة الخطاب الذي يتوارى المرسل وراءه"(١).

١-٢ قياس التمثيل:

القياس لغةً:

قاس الشيء، يقيسُه قياسًا، إذا قدَّره على مثاله(٢).

---

(١) إستراتيجية الخطاب، عبد الهادي الشهري، ٣٢٩/٢.

(٢) انظر: لسان العرب، (ق. ي. س).

القياس اصطلاحًا:

قياس التمثيل في الفلسفة:

"إلحاق جزئي بجزئي آخر في حكمه؛ لمعنى مشترك بينهما"(١).

وُيَعدُّ هذا الأسلوب الحجاجي، من وسائل الإقناع المنطقية، فالمثل "حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية أحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها"(٢).

في مقالة بعنوان: "المتاجرون بدم القدس .. ودم الكويت)، يقول القصيبي: "أريد أن أقول بوضوح ما بعده وضوح إن الدماء الفلسطينية التي تهدر ظلمًا وعدوانًا في القدس؛ هي كالدماء الكويتية التي تُهدر ظلمًا وعدوانًا في الكويت، سواءً بسواء"(٣).

وسبب هذا القياس؛ متاجرة الكثير بالقضية الفلسطينية، وعلى رأسهم قادتها آنذاك؛ حيث كانوا ضد حل تحرير الكويت عسكريًّا، متذرعين ورابطين بالقضية الفلسطينية.

إذ يتحجج بعضهم بأن الانشغال بحماية الدماء الكويتية، سيشغل عن حماية الدماء الفلسطينية، بل حاول بعضهم الإقناع بالتضحية بالدماء

---

(١) معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبه، ص١٥.

(٢) في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، ص٨٢.

(٣) في عين العاصفة، ص١١٨.

الكويتية الآن، لحماية الدماء الفلسطينية في المستقبل، محاولين إثارة العواطف بأن الدماء التي سالت في فلسطين أنقى[١].

والقارئ للمقالات؛ يخرج بكم كبير من الحديث عن هذا الموضوع؛ حيث يريد أصحاب القضية تبرير موقفهم السلبي المؤيد للعدوان، بالقضية الفلسطينية، وأن هذا سيؤدي إلى ضياعها.

ولذلك احتل هذا الموضوع مساحةً كبيرة من مقالات القصيبي، وليس هذه المقالة فقط؛ فهو يقول – على سبيل المثال – :"يا أبناء فلسطين الغالية: نريد أن نقول بكل وضوح، إننا لن نقبل (ربطًا) يؤجل تحرير الكويت؛ حتى تحرير فلسطين، ولا نعتقد أنكم ترضون بهذا"[٢].

ويقول أيضًا: "ويا أبناء فلسطين الغالية: نحن لن نسمح لقيادتكم الحكيمة أن تضيع قضية الكويت في حمى المزايدات الجوفاء والشعارات البلهاء كما عصفت بقضيتكم أنتم"[٣].

وإذ نعود إلى موضوع الحجاج الذي ذكرتُه في البداية، سنجد أن (القصيبي) وظف في حجاجه حجة قوية وذكية هي (قياس التمثيل)، وذلك بذكر مثال مطابق لما يتعرض له الكويتيون من اعتداء فما يجري في فلسطين من احتلال وظلم وعدوان هو ذاته ما يجري في الكويت. فهذا القياس

(١) انظر: المصدر السابق، ص١١٨ – ١١٩.

(٢) المصدر السابق، ص١٣١.

(٣) المصدر السابق، ص١٣١

يخاطب العقل والمنطق، فإذا كنتم ضدَّ ما يجري في فلسطين، فحريٌّ بكم أن يكون موقفكم نفسه في الكويت.

وهذا يضعهم في حرج أمام ضمائرهم، وأمام الجمهور العربي أيضًا، فهذه التقنية الحجاجية، تهدف للتأثير وإقناع الجمهور أيضًا.

وفضلاً عن الحجة المنطقية، ففي هذا القياس تأثير عاطفي أيضًا؛ حيث حشد فيه (القصيبي) مفردات ذات حمولة عاطفية: دماء، ظلم، عدوان ...

حيث ترسم صورة قاسية لما يحدث في أرض الكويت، وتستنهض العاطفة، المؤثرة في اتخاذ رأي حول هذا الموضوع.

١-٣ التكرار:

التكرار في اللغة:

كرَّر الشيئ: أعاده مرةً بعد أخرى.

ويقال: كرَّرتُ عليه الحديث؛ إذا ردَّدته عليه[١].

والتكرار اصطلاحًا أدبيًا:

هو: "الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني"[٢].

ونحن هنا نتحدَّث عن التكرار بوصفه سمة لغوية أسلوبية، لها دورها في التأثير في المتلقي وإقناعه.

---

(١) انظر: لسان العرب، (ك . ر. ر)

(٢) معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبه، ص٤٧٣.

حيث تنطلق بعض نظريات الحجاج، وأعني بها تلك المتعلقة بالحجاج اللغوي، من كون الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة الحجاجية[١].

إذ إن التكرار في مقدمة الوسائل اللغوية التي تقوم بمهام كبيرة في الإقناع[٢] .

وفي كتب البلاغة القديمة، ما يفيد بتأثير (التكرار) في المتلقي، وإقناعه، فالقزويني (ت/ ٧٣٩هـ) يبيّن بلاغة التكرار في حديثه عن أنواع الإطناب؛ حيث يقول: "... وإمَّا بالتكرير لنكتة: كتأكيد الإنذار في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾[٣]، وفي ثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ وأشد؛ كزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول"[٤].

ففي قوله: "ليكمل تلقي الكلام بالقبول" دليل على تأثير التكرار في قبول الكلام، والاقتناع به عند المتلقي.

ويقول (ابو هلال العسكري ت/٤٠٠هـ) عن التكرار: "استعملوا التكرار ليتوكّد القول للسامع"[٥]. وهذا يفيد استهداف المتلقي من خلال التكرار.

---

(١) انظر: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، ص٣٥.

(٢) انظر: بحث: تقنية التكرار من منظور الوظيفة الحجاجية الاتصالية، حاكم عمارية، مجلة كلية دلتا العلوم والتكنولوجيا، العدد الثاني، سبتمبر ٢٠١٥م، ص٢٦.

(٣) سورة التكاثر، (٣ – ٤).

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، م١/ج٣/٢٠٠ – ٢٠١.

(٥) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص١٩٣.

كما تحدَّث البلاغيون المعاصرون عن قيمة التكرار في التأثير والإقناع؛ حيث يأتي أحيانًا "لاستمالة المخاطب به وترغيبه في قبول النصح والإرشاد، كقوله – سبحانه –: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

"ففي تكرير (يا قوم) استمالة لأنفسهم وقلوبهم؛ حتى لا يشكوا ولا يرتابوا في إخلاصه لهم في نصحه"[2].

في مقالة بعنوان: "عن الربط والرابطين"، يتحدَّث فيها القصيبي عن فئة من الأدعياء؛ يربطون بين تحرير الكويت؛ وتحرير فلسطين؛ فيطالبون بتأجيل تحرير الأولى، حتى يتم تحرير الأخرى.

وكعادته؛ يوظِف (الحجاج) بكافة أنواعه؛ من أجل تفنيد حججهم من جهة، ومن أخرى لإقناع المتلقي بعدالة هذه القضية.

واستخدم أوَّلاً (قياس التمثيل)؛ حيث يقول مثلاً: "لو أن مصر احتلت السودان؛ هل يوافق فريق الإنقاذ على تأجيل إنقاذ السودان؛ حتى يتم إنقاذ فلسطين"[3].

---

(١) سورة غافر، (٣٨ – ٣٩).

(٢) من بلاغة النظم العربي، عبد العزيز عرفة، ٢/٢٣٩.

(٣) في عين العاصفة، ص١٦٨.

وهكذا يأتي بأمثلة يقاس عليها؛ بشكل عقلاني منطقي؛ يجعل من اقترحوا هذا الاقتراح في مأزق مع عقولهم.

ثمَّ يتوج هذه الحجج المنطقية العقلانية، ويختم المقالة، بأسلوب تكرار حجاجي، حيث يقول:

"والآن يريدون منا ما يرفضونه لأنفسهم .. وما رفضوه عبر تاريخهم كله! هيهات! .. هيهات! لا تأجيل لتحرير الكويت ولا تسويف"(١).

إننا نلمح هنا تكرارًا على المستوى الأفقي النص:

(هيهات .. هيهات)

(لا .. لا)

علينا أوَّلاً أن نفهم هذه الهِزَّة التي يحدثها (التكرار) في النص، فهي أشبه بزلزال أسلوبي، يشي بما في النفس من زلزال من القلق والتوتر والأسف والمفاجأة؛ نتيجة هذه الأزمة، وعلينا أن نتذكر أن (القصيبي) كتب هذه المقالات أثناء الأزمة؛ وبالتالي لا نستغرب هذا الضجيج الروحي الذي انتقل للورق.

ثم إن هذا التكرار يؤازر الحجاج المنطقي العقلي السابق؛ حتى إذا اقتنع المتلقي، فاجأه هذا السيل اللفظي الهادر من التكرار القوي: هيهات! هيهات(٢)! لا تأجيل ... ولا تسويف.

---

(١) السابق، ص١٦٩.

(٢) هيهات اسم فعل، يفيد البعد. انظر: لسان العرب: (هـ. ي. هـ)، شرح شذور الذهب، ابن هشام، ص٤٠٠.

كل هذا يسفر عن روح القصيبي المؤمنة بما تقول، المقنعة به ،المتأكدة من عدالة القضية، وانتهائها إلى النصر.

إن مجرَّد امتلاء المتكلم بهذه القناعة، والقوة، والإيمان؛ المتجسِّد في هذا التكرار اللفظي، وما في مفرداته من معانٍ قوية، هو – يجد ذاته – أسلوب حجاجي إقناعي مؤثر في المتلقي.

فالنبرة الواثقة المؤكِّدة، واللغة القوية، تنتقل – إيجابًا – إلى وعي المتلقي، ليسلم؛ ويؤمن؛ ويقتنع بالفكرة.

ثم إن القيمة الصوتية لهذه الألفاظ المكرَّرة؛ تشكل إيقاعًا داخليًا موحيًا ومؤثرًا؛ وخصوصًا مع ألف المد التي تكرَّرت أربع مرات؛ لتوحي بالإصرار والتأكيد والشموخ، وخصوصًا مع ارتباطها بلا النافية للجنس[1]، بكل ما يوحي به هذا المعنى من التأكيد على نفي جنس المعنى كله، المبني على ضعف أو استسلام أو هزيمة.

كل هذا ينتقل إلى وعي المتلقي؛ فيتأثر، ويقتنع بعدالة القضية؛ فصاحب الحق لا يُهادِن ولا يفاوض، ولا يقبل بخيارات أخرى.

٢- المعيّنات الإشاريَّة:

والمقصود بها "ضمائر الشخوص، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان، وصيغ القرابة، والصيغ الانفعالية الذاتية"[2].

---

(١) انظر حولها: مغني اللبيب، ابن هشام، ٢٣٧/١.

(٢) نظريات النقد الأدبي في مرحلة بعد الحداثة، جميل حمداوي، ص٤١١.

وهذه الإشاريات علامات متصلة بفعل التلفظ "وهو فعل يقتضي متلفظًا يتوجه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زماني ومكاني محدَّد. لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معين، دون الوقوف عند الإشاريات من جهة، وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة أخرى، فضمير المتكلم (أنا) يظل مجرَّدًا مبهمًا، ما لم تقترن إحالتُه بسياق معلوم لدى المتخاطبين، وكذلك الحال مع (الآن) (وهنا) وغيرهما"(١).

ومن هنا تأتي أهمية دراسة (المعينات الإشارية) في الدراسة التداولية؛ لأنها معنية بتداول الخطاب بين المتكلم والمخاطب، واستعماله، وفهمه، إذ تعين هذه الإشاريَّات على إدراك فحوى الكلام وسياقاته وأطرافه بدقة.

٢-١ الإشاريات الشخصية والمكانية:

الإشاريات الشخصية:

وهي "الإشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب"(٢).

وسوف أقتصر على تحليل الضمير (نحن)، وهو: أحد أنواع المعارف، الدال على المتكلم(٣).

وكان هذا الضمير المنفصل؛ ومعه الضمير المتصل (نا المتكلمين) هما الغالبان على مقالات (القصيبي).

---

(١) التداولية، جواد ختام، ص٧٦ – ٧٧.

(٢) إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ١/١٢٤.

(٣) انظر: شرح شذور الذهب، ابن هشام، ص١٣٤.

وقد تكررت جملة مميزة في هذه المقالات عمومًا هي: "ونحن أعراب نجد والحجاز"؛ حيث يأتي بها في معرض الحديث عن السعوديين وقيمهم ومبادئهم، وعن أهل الخليج بشكل عام كذلك، حين يرفقها ببعض الخصائص المكانية لهم.

كمقالته (عيد ميلاد سعيد)، التي يتحدث فيها عن مفارقة مؤلمة، حيث يحتفل (صدام حسين) بميلاده، بينما الوضع في العراق مأساوي.

إذ يقول: "ونحن أعراب نجد والحجاز وقبائل شرق الجزيرة وجنوبها وشمالها وبحارة الخليج؛ لم نتحضَّر بعد لنحتفل بأعياد ميلاد رؤسائنا وقادتنا، ولا نعرفها حتى"(١).

إنَّ (القصيبي) باستخدامه المتكرر لضمير المتكلم (نحن)، يجمع بينه شخصيًّا؛ وبين كل السعوديين والخليجيين وهذا يحمل دلالة عميقة تشير إلى (الوحدة الوطنية والخليجية)، التي تجمع بين أبناء الشعب السعودي، والخليجي بشكل عام في هذه الأزمة.

ففي جمع المرسل "في الخطاب بين ذاته وبين المرسل إليه، دلالة على التضامن بينهم، أي بين (انا وأنتم) في بنية الخطاب العميقة؛ مثل خطاب من يتحدث مع أبناء قومه"(٢).

---

(١) في عين العاصفة، ص١٩.

(٢) إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ٤٧/٢.

ومن ثم، فإن استحضار هذا الضمير يحيل إلى (الهوية الوطنية والخليجية أيضًا)، ومدى التمسُّك بها، ولنلحظ أنها مصحوبة بالمكان (نجد، الحجاز، الجزيرة، الخليج)، وهي تقوم مقام الإشاريات المكانية.

والإشاريات المكانية: "العناصر اللسانية التي تحيل على السياق المكاني لعملية التلفظ الجارية بين المتكلمين"(١).

وهذه الأعلام المكانية (نجد، الحجاز، الجزيرة ....)، قامت مقام ظروف المكان المفترضة :(نحن أقصد هنا في نجد ....)، بل إنَّها وضحت مرجع ظرف المكان بشكل أكثر دقة.

حيث إن مرجع الألفاظ الدالة على المكان تظل غامضة، لو استعملها المرسل وحدها، ولكن تحديدها، يرتبط بمعرفة الشيء الدال عليها. ولا يمكن استعمال هذه الظروف إلا بإدراك المرجع المضاف إليها في ذهن كل من طرفي الخطاب(٢).

ومن ثم؛ فإننا نلمح من الخطاب بشكل عام (أعراب نجد والحجاز ...) تأكيدًا للهوية الوطنية، الخليجية، البدوية تحديدًا، وهذا الاستحضار لهذه الهوية يأتي في المواقف العصيبة "فنحن نميل في أغلب الأحيان؛ لأن نتعرف على أنفسنا في انتمائنا الأكثر عرضة للخطر"(٣).

---

(١) انظر: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، جميل حمداوي، ص٤١٢.

(٢) انظر: إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ١٢٨/١.

(٣) الهويات القاتلة، أمين معلوف، ص٢٧.

فحين يحس الإنسان بوجود مواجهة في هويته "يكون استحضار الهوية، والالتجاء إليها، والتشبث بها، خير ما يتسلح به في هذه المواجهة"(١).

ولا شك أن حرب (الهوية) هي جزء من تلك الحرب التي شنها العراق ومَنْ أيده مِن بعض العرب آنذاك، ضد السعودية ودول الخليج إعلاميًّا وحربيًّا.

ومن المهم التوقف أكثر عند الجزء الآخر من التركيب (نحن أعراب نجد والحجاز)، ومن المعروف أن ما بعد (نحن) هنا يُفسَّر نحويًّا على أنه منصوب على الاختصاص: نحن: أخص أعراب نحد والحجاز.

وهذا المكان (نجد والحجاز) هو جزء من هذه الهوية التي يدافع عنها القصيبي؛ حيث كان جزءٌ من الحرب الإعلامية آنذاك تعمُّد إخفاء اسم الوطن (المملكة العربية السعودية) وتسميته بـ(أراضي نجد والحجاز)، كما جاء في الخطابات السياسية العراقية(٢).

ولا شك أن هذه التسميات القصدية (أعراب نجد والحجاز) لها أهدافها؛ إذ تحمل نبرة السخرية من السعوديين وتهوين شأنهم، كما تحمل دلالات سياسية خطيرة، إذ يوهمون أن السعودية هي (نجد والحجاز) فقط؛ بينما أراضي النفط التي استثنوها في شرقها؛ هي مطمعهم، وكانوا بهذا يؤملون هدم الوحدة التي غدا عليها كياننا الوطني.

---

(١) مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة، المدخل التمهيدي للندوة، عباس الجراري، ص١٨.

(٢) انظر: في عين العاصفة، ص٦٨.

والقصيبي، هنا عندما يكرّر هذه الجملة التي كانوا يتداولونها بينهم؛ يريد تأكيد اعتزاز السعوديين بهذه الأراضي من الوطن، وأنها محل فخر وهوية قوية، بدوية أعرابية ومكانية.

وفي الوقت نفسه، فإنه بهذا التأكيد، يذكّر بالعمل العظيم الذي قام به الملك

عبد العزيز – رحمه الله – في توحيد هذه البلاد؛ بعد أن كانت أراضي متناثرة: نجد، الحجاز.

وهنا تتضح المقصدية في الخطاب، التي هي من أهم إستراتيجيات التداولية؛ حيث "إن النص الأدبي، باعتباره جملاً وملفوظات لغوية يحوى مجموعة من المقاصد المباشرة والضمنية التي يُعبر عنها المتكلم أو المتلقي أو هما معًا"(١).

وقد صرَّح القصيبي بشأن هذه القصدية بوضوح، حيث قال: "ونحن السعوديين، الذين لا نعتز – بعد إيماننا بالله وتشرفنا بخدمة الحرمين الشريفين – بشيء قدر اعتزازنا بالإنجاز الوحدوي الشامخ الذي تحقق على أرض جزيرة العرب؛ بقيام المملكة العربية السعودية، نحن السعوديين، نجد في الإصرار على هذه التسمية (ديار نجد والحجاز) معنى ومغزى ودلالة"(٢).

ثم يضيف: "أمَّا المعنى؛ فهو أن المهين الركن، رغم تشدقه بشعار الوحدة، مصاب بحساسية شديدة من وحدة الجزيرة العربية. وأمَّا المغزى؛ فهو أن

(١) نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، جميل حمداوي، ص٤٢٥.

(٢) في عين العاصفة، ص٦٨.

مشكلة المهين الركن ليست مع نظام سياسي قائم في المملكة ... ولكنها مع شعب يريد تحويله إلى شراذم تجوب رمال نجد والحجاز، وأما الدلالة فهي أن مخطط التآمر الصدامي ضد المملكة قد أصبح مع إطلاق شعار (نجد والحجاز) واضحًا كل الوضوح"[١].

وهكذا نرى الأثر العميق في تداول هذه الإشاريات الشخصية والمكانية.

٢-٢ الإشاريَّات الزمانية:

للزمن أهمية كبيرة في أي خطاب؛ إذ يلزم المتلقي وهو يتلقى الخطاب معرفة الزمن.

فالكلمات الدالة على الزمان في التخاطب ذات أهمية للفهم والتأثير كذلك، وبدونها يصبح الكلام مبهمًا أو ناقصًا على أقل تقدير.

فنحن لا نفتأ نسأل – أثناء مخاطباتنا – متى؟! ونحيط الزمن بهالة من الاهتمام؛ لفعاليته في الخطاب.

ولذلك "شغل الزمن حيزًا مهمًا في دراسة الإشاريات، سواءً تعلق الأمر بزمن الفعل؛ أو بظروف الزمان"[٢].

ومن هنا كان "من أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية، وتأويل الخطاب تأويلاً صحيحًا، يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ؛ فيتخذها مرجعًا يحيل عليه، ويؤوِّل مكونات التلفظ اللغوية بناءً على معرفتها"[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص٦٨ – ٦٩.

(٢) التداولية، جواد ختام، ص٨٠.

(٣) إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ١٢٦/١.

حيث إنَّ "دلالة الزمن لا تتحدَّد بزمن الفعل أو الظرف في حدِّ ذاته، وإنما بزمن التلفظ"(١).

وفضلاً عن أهميَّة الزمن في الخطاب؛ فإنَّ "للزمان مغزى خاص بالنسبة إلى الإنسان؛ لأنه لا ينفصل عن مفهوم الذات؛ فنحن نعي نمونا العضوي والنفسي في الزمان، وما نسميه الذات أو الشخص أو الفرد؛ لا تحصل خبرته أو معرفته إلاَّ من خلال تتابع اللحظات الزمانية والتغيرات التي تشكل سيرته"(٢).

لقد غمرت الإشاريَّات الزمانيَّة مقالات (القصيبي) غمرًا واضحًا وشاملاً، وليس في هذا غرابة، فهو يتحدَّث عن أزمة مؤرخة بزمن، وحرب كان لها مدى زمني.

وما بين بدء الأزمة، فبدء الحرب، ثم انتهائها؛ الكثير من الأحداث والأخبار والمواقف المؤرَّخة والمحفوظة بزمن معيَّن.

وسوف أركز في دراستي الإشاريَّات الزمانية على نقطة واحدة هي:

تاريخ بدء الأزمة، التي ضجَّ بها الخليج، وأُرّخ به غزو العراق للكويت: ١٩٩٠/٨/٢م، فجر الثاني من أغسطس – عام ١٩٩٠م.

---

(١) التداولية، جواد ختام، ص٨٠.

(٢) الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، ص٧.

ونستطيع تصنيفه في بعدين:

أ- **الزمن الموضوعي/الحقيقي:**

وهو الزمن الذي يُقاس وفق ما تضعه الساعات والتقاويم. وهذا الزمن مستقل عن خبرتنا الشخصية للزمن، ويتميز بالصدق الذي يتعدى الذات[١].

وهو الذي يكتب فيه الزمن بدقة، معبّرًا عن الحدث الجسيم آنذاك، وقد ضجَّتْ المقالات بهذا التاريخ، متكرِّرًا بشكل واضح:

"ولكن ماذا نصنع بإعلان الحرب الذي صدر في الثاني من آب/أغسطس ١٩٩٠"[٢].

"أمَّا أنا فصبري قد نفد صبيحة الثاني من أغسطس/آب ١٩٩٠"[٣]، وغيرهما من المواضع.

إن هذه الإشارية الزمنية، المعتمدة على تاريخ بدء الأزمة، والمتكرِّرة بشكل كبير؛ لهي جزء مهم من خطاب فاعل بين (القصيبي) والمتلقين.

حيث يعمل ذكر هذا التاريخ مكرَّرًا على تأكيده وترسيخه، فهو تاريخ لا يُنسى أبدًا؛ إذ هو الموضوع الرئيس الذي دعا (القصيبي) لهذه السلسلة من المقالات.

فلا وجود لأي تفرُّعات في هذا الموضوع؛ تفرضها جهات أخرى، تريد تمييع القضية وتفريعها ونسيانها في خضم تداخلات أخرى مقصودة ومتعمَّدة.

---

(١) انظر: الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، ص١١.

(٢) في عين العاصفة، ص١١٢.

(٣) المصدر السابق، ص١٥٥.

هذه المقالات التي انتشرت وُجمعت ونُشرتْ، ولازالت تقرأ بعد سنوات من هذه الأزمة؛ تحمل مبدأ انبثاقها وقت التلفظ، ما يُسهم في خطاب حي ومقنع ومؤثر.

وظَّف (القصيبي) هذا التاريخ بذكاء؛ مستخدمًا إيَّاه في إيصال رسالة سياسية، وطنية، إنسانية.

ففي مقالة بعنوان: (يقولون !! .. ونقول !!!)، يعرض وجهات نظر المعارضين للتدخل العسكري؛ لتحرير الكويت؛ في بناء حواري مقنع ومؤثر، فيقول:

"ويقولون: لابدّ من حل سلمي للأزمة.

ونقول: نعم! وبالتأكيد!

ولكن ماذا نصنع بإعلان الحرب الذي صدر في الثاني من آب/أغسطس ١٩٩٠م؟"(١).

ففي ذكر هذا التاريخ جزء من الحجج التي يحاج بها هذا الفريق؛ فذكره أضعف رؤية المعارضين المنادين بالسلمية؛ فالحلول السلمية توظف؛ طالما لم تشن حروب؛ أما وقد شُنَّت الحرب في ٢ أغسطس ١٩٩٠م، فلا سبيل للحلول السلميَّة.

فهذا الإطار الزماني الذي اعتمد عليه (القصيبي) أطَّر اللحظة عند المتلقي وجسَّدها؛ لتعمل عملها في تقوية الخطاب، والإبانة وإزالة اللبس في الفكرة،

(١) في عين العاصفة، ص١١٢.

وفي التأثير والإقناع أيضًا. وذلك بالتركيز على ما حدث في ذلك الوقت، فهو القضية الأساسية التي ينبغي أن توجه لها الأنظار.

ب- **الزمن الذاتي:**

ويتجلَّى هذا؛ حين نضفي انفعالاتنا ومشاعرنا على الزمن؛ ونصبغه بها، حيث إن "خبراتنا الخاصة تشكل أساسًا ضعيفًا لقياس الزمن بموضوعية فهو تارة يمر بسرعة، وطورًا ببطء، ونحن تارة نعني في عمق كل ثانية تدق، وطورًا يبدو علينا النسيان التام، أو اللاوعي بمرور الزمن"(١).

ومن هذا قول القصيبي مؤرِّخًا للاحتلال:

"منذ فجر الغزو الأسود"(٢).

"ومنذ فجر الاحتلال الأسود"(٣).

وغيرهما من المواضع.

إن هذه الإشارة الزمنية، لا تكتفي بإضاءة الخطاب للقارئ بذكر البعد الزمني فقط؛ وإنما هي تومئ لمعانٍ أخرى، وتحمل قصديتها الخاصَّة.

ففي كلمة (الفجر)، وهو وقت دخول القوات العراقية الكويت، في هذا التصريح بهذا الجزء من اليوم تحديدًا إيحاء بالغدر الذي مُوْرس فيه هذا الحدث العظيم، إذ باغتوا الكويت في زمن ميت، يكون فيه الناس في غفلةٍ وسبات.

---

(١) الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، ص١٨.

(٢) في عين العاصفة، ص٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص٧٠.

ثم في وصف الفجر بالأسود إيحاءٌ آخر؛ بكل ما يوحي به هذا اللون من معانٍ سلبية؛ ترتبط بالموت والحزن والألم والكآبة ... ثم يفاجئنا هذا التناقض الذي ترسمه الصورة بين ضوء الفجر وبياض نوره، وسواد الاحتلال وظلامه.

لقد أراد (القصيبي) من هذه الحمولة النفسية المرتبطة بهذا الزمن؛ أن يبين عن الوجه الموجع المؤلم لهذه الأزمة للمتلقين؛ فهو الأديب؛ كما هو السياسي، والإنسان الممتلئ حزنًا وألمًا؛ فليست القضية قضية سياسية وأرقامًا وحججًا فقط، وإنما هي تحمل ألم وطن ضاع في فجر؛ ولا شك أن هذا ينتقل إلى وعي المتلقي وعاطفته في هذا الخطاب.

٣- أفعال الكلام:

تنطلق النظرية التداولية من كون "اللغة لا تصلح فقط للإخبار أو تمثيل الأشياء أو العالم، بل تصلح أيضًا لإنجاز الأفعال؛ فالتكلّم يعني الإنجاز"(١).

وهذا يعني أن الخطاب أو النص الأدبي، من وجهة تداولية "عبارة عن أفعال كلامية؛ تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز"(٢).

وكل هذا يحيل إلى "الدور الاجتماعي للغة في تفاعلها"(٣).

ويمكن أن ندرس (أفعال الكلام) في مقالات القصيبي؛ فيما يلي:

---

(١) المقاربة التداولية للأدب، إلفى بولان، ص٤٢.

(٢) نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، جميل حمداوي، ص٤٢٢.

(٣) النص والسياق، فان ديك، ص٢٩٠.

٣-١ البوحيَّات:

وهي التي "تعبِّر عن الحالة النفسية للمتكلم"[١]. وقد تحدث عنها (سيرل Searle-)؛ تحت مصطلح (الملفوظات التعبيرية) ؛حيث "تتحدَّد الغاية منها في تعبير المتكلم عن حالته النفسية"[٢].

والفعل الإنجازي المقصود من هذه (البوحيَّات) هو مدى التأثير الذي يتركه في المتلقي؛ ومن ثم الفعل الصادر منه، عبر هذا الخطاب.

إن الناظر الفاحص لمقالات القصيبي، يجدها قامت على التأثير العقلي المنطقي باستخدام الحجة والتحليل العقلي.

إلاَّ أنه يلحظ الحس الإنساني الذي تجلَّت فيه عاطفة (القصيبي) الإنسان؛ ولهذا وجدنا البوحيَّات، حيث يبوح الكاتب بعواطفه لغرض الإفصاح؛ ومن ثم التأثير في المتلقي.

في مقالة عنوانها: (يا عدوَّ الله !! أرأيت هذه القبلة!؟)، يقول القصيبي: "في مشهد تاريخي مَزَّق نياط القلوب، مال الجندي العراقي على وجه أخيه السعودي يقبله .. قبلة .. عفوية .. حارة .... قبَّلت بغدادُ رياضها .. قبَّلت البصرة دمَّامها .. وقبلت كركوك مدينتها.

في لحظة واحدة؛ تحرَّرتْ من أسر الزمان والمكان، لم يعد هناك أسر ومأسور، وهازم ومهزوم، وقاتل ومقتول، لم يعد سوى مواطن عراقي يقبل شقيقه السعودي .. قبلة الحنين والحنان .. فهل رأيتها يا عدو الله؟!

---

(١) نظريات النقد الأدبي، جميل حمداوي، ص٤٢٤.

(٢) التداولية، جواد ختام، ص٩٤.

هذه القبلة – يا عدو الله – صفعة تسقط على وجهك الدميم.

وعلى مخططاتك الرامية إلى تحويل الخليج كله ألغامًا .. وسمومًا وضغائن!"[1].

إن هذا البوح العاطفي الحزين الشفاف الذي ضجَّتْ به المقالة، يتناسب مع مشهد النهاية في هذه الحرب، والانتصار النبيل للجندي السعودي الذي لم يفقد إنسانيته.

فهذا البوح، جزء من إستراتيجية الخطاب، حيث يهدف القصيبي؛ من خلاله إلى التأثير في المتلقي، في رسم صورة هذه الحرب، والإبانة عن الوجه الإنساني للجندي السعودي تحديدًا.

وهذا البوح الذي يمارسه (القصيبي) هو أيضًا جزء من تركيبته الشخصيَّة إنسانًا عالي القيم، نبيل المقاصد؛ فقد كان البعد الإنساني شاملاً لإنسان العراق؛ حيث لم يتعرَّض له بالمنقصة، ولا الهجوم؛ بل كان مدافعًا عنه؛ أمام ديكتاتورية الحكم آنذاك.

ولنلحظ كيف مال هذا الخطاب الوجداني إلى الشعرية؛ محقِّقًا الوظيفة الانفعاليَّة للغة:

(لحظة تحرَّرتْ من أسر الزمان والمكان)

(قبلة الحنين والحنان)

(قبَّلتْ بغدادُ رياضها).

---

(١) في عين العاصفة، ص٣٣٤.

لتعمل هذه اللغة الشعرية عملها في هذا البوح، الذي يترك أثره العميق في المتلقي،ليدرك عدالة هذه القضية،وأهميتها،وإنسانية الجندي السعودي المدافع عن المظلومين،ومن ثم الفعل الإيجابي في هذه الأزمة.

٣-٢ الطلبيات (الاستفهام):

والطلبيات تحضر في توجيه المتكلم طلبًا للمخاطب؛ لإنجاز فعل ما، مثل الاستفهام؛ والأمر(١).وقد قسَّم (سيرل-searle) القوة الإنجازية للفعل إلى نوعين:

أ- إنجازات بسيطة، وهي التي يقصد فيها المتكلم المعنى الحرفي للجملة، كالنهي الواضح.

ب- إنجازات معقدة؛ حيث يقصد المتكلم الدلالة الحرفية، بالإضافة إلى دلالة أخرى مدركة مقاميًّا؛ كالاستفهام الذي يكون له أغراض أخرى غير السؤال(٢).

وقد حضرت هذه الأساليب في البلاغة العربية القديمة، من خلال الأساليب الإنشائية، ففي "التراث العربي تندرج ظاهرة (الأفعال الكلامية) ضمن مباحث علم المعاني"(٣).

وسوف أقف عند (الاستفهام) من هذه الأفعال الإنجازية؛ لما يحمله من قوة في التأثير وعمق المعنى.

---

(١) انظر: نظريات النقد الأدبي، جميل حمداوي، ص٤٢٤.

(٢) انظر: التداوليات، حافظ علوي وآخرون، ص٥٢٦.

(٣) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص٤٩.

الاستفهام لغةً:

الفَهْم: معرفة الشيء بالقلب، فهمه فهمًا: علمه، واستفهمه: سأله أن يفهِّمه[١].

الاستفهام اصطلاحًا:

"طلب العلم بشيء؛ لم يكن معلومًا من قبل بأدوات خاصة[٢]".

ولا شك أن ألفاظ الاستفهام تخرج "عن معانيها الأصلية لمعانٍ وأغراض بلاغية، تُفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، وجو النص ونفسيته"[٣].

ولو تأملنا في المعنى اللغوي والاصطلاحي للاستفهام؛ لوجدناه خطابًا بين مُرْسِل ومُرْسَل إليه؛ ولوجدنا أن المرسِل ينتظر من المرسَل إليه إنجازًا، أدناه: الإجابة عن السؤال.

ومن أبرز الأمثلة على (الاستفهام)؛ ما جاء في مقالة بعنوان: (بين الهذيان والاتزان)، يقول القصيبي: "ترى هل تصل كلمات العقل إلى الآذان في زمن الهذيان، وهل للحكمة مكان في عصر التشنج؟ هل نستمر في النداء أم أننا نتحدث مع قوم أصبحوا كما وصفهم شاعرنا القديم، بتعديل بسيط ... ولكن لا حياء لمن تنادي!"[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب، (ف. هـ. م).

(٢) من بلاغة النظم العربي، عبد العزيز عرفة، ٩٣/٢.

(٣) السابق ١٠٢/٢.

(٤) في عين العاصفة، ص٩٥.

وإذ نتأمَّل هذه المقالة؛ سنجد أنها بين صوتين: صوت الهذيان والجنون والطمع لدى المعادين للخليج وأهله، الطامعين في خيراته؛ الحاقدين؛ الناقمين.

والصوت الآخر هو صوت العقل والحكمة والاتزان المتمثل في موقف (السعودية) من القضايا المصيرية، مثل قضية (فلسطين)، وحتى (العراق) إذ ظل الموقف السعودي مدافعًا عن شعب العراق، بالإضافة للدفاع عن الكويت (القضية الرئيسة).

ومن ثم؛ فإن القصيبي يعرض هذين الصوتين أمام المتلقي بأدلة قوية، واقعية، حقيقية.

حتى يختم مقالته بهذه الاستفهامات المتوالية؛ التي تزلزل أفق الخطاب، وتشحنه، بما يجعله مؤثرًا على المخاطب؛ دافعًا له لاتخاذ موقف.

بدءًا من أول مستويات السؤال؛ وهو طلب الإجابة:

هل تصل كلمات العقل إلى الآذان؟!

هل للحكمة مكان؟

مرورًا بالأحكام القطعية الجازمة التي حملتها هذه الاستفهامات؛ ويريد بها أن تستقرَّ في وعي المتلقي: زمن الهذيان، عصر التشنج، لا حياء لمن تنادي.

و(القصيبي) هنا بهذه الأسئلة يؤثر في المتلقين، ويريد أن يضعهم في قلب الحدث؛ ويشركهم؛ بما قدمه من أدلَّة تدين هؤلاء المعادين للحق؛ فإن "القوة

الإنشائية بالنسبة لفعل الاستفهام، هي إجبار المخاطب على الإجابة"[1]، ثم هو يطمح – بعد ذلك – إلى سحب المتلقي معه في خضم هذه المعاني الأخرى الخفية التي يحملها الاستفهام: التعجُّب، الحيرة، الاستبعاد.

فبعد أن ألقى عليه بثقل السؤال؛ طالبًا منه الإجابة، يضعه في الجو نفسه الذي شَعرُ به؛ وهو يتأمَّل هذه المواقف.

فهذه الأسئلة المتتالية تحمل زلزال الروح، خلال تلك الأزمة القوية، التي حَيَّرت الأفهام والعقول؛ ففيها ضجيج الوجدان العربي كله.

بما فيها من تكرار الاستفهام (هل)، وبما تحمله المفردات من معانٍ قوية ومؤثرة ومزلزلة: التشنج، الهذيان، لا حياء ....

وهي – من ناحية أخرى – تُسْهِم في التلوين الإيقاعي حسًّا ومعنى في هذه المقالة؛ لتنتقل بالمتلقي من تحليل سياسي عقلي سابق، إلى خطاب أكثر إقناعًا عن طريق التأثير الوجداني.

وكأنه يضخُّ المتلقي بطاقة أخرى مختلفة، عامدًا إلى التأثير فيه، حيث "يُعدُّ استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية؛ بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها؛ ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل، لا حسب ما يريده الآخرون"[2].

---

(١) التداولية، ذهبية الحاج، ص١٧٦.

(٢) إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ١١٥/٢.

خاتمة

وهكذا نصل إلى ختام هذا البحث التداولي، في مقالات غازي القصيبي (في عين العاصفة)، ويتضح لنا:

١- وجود العديد من الأساليب التي استهدفت المتلقي وأثرتْ فيه.

٢- أن الكاتب على مستوى كبير من الوعي والإيمان والقصدية بضرورة التأثير في المتلقي في هذه القضية المهمة الخطيرة.

٣- توظيف الحجاج بكل أشكاله المنطقية واللغوية في هذه المقالات؛ من أجل القيام بمهمة الإقناع والتأثير في المتلقي؛ باستخدام حجة الدليل، والحجج المنطقية، والأساليب اللغوية المؤثرة.

٤- توظيف الإشاريات الشخصية والمكانية والزمانية المجسِّده للموقف، الناقلة للحظة الراهنة، التي لها دورها في إدراك فحوى الكلام.

٥- توظيف أفعال الكلام التي تدفع المتلقي إلى الإنجاز ، من خلال البوحيَّات، التي تستهدف التأثير العاطفي، ومن خلال الأساليب الاستفهامية التي لها قوة في التأثير وعمق المعنى.

كانت هذه هي أهم الأساليب الموظفة في هذه المقالات، درستها باستخدام المنهج التداولي.

أرجو أن يكون في هذه الدراسة النفع والفائدة.

فهرس المصادر والمراجع

أ- **الكتب:**

١- إستراتيجيَّات الخطاب، عبد الهادي الشهري، كنوز المعرفة، عمَّان، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٢- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣.

٣- التداوليات: علم استعمال اللغة، حافظ علوي وآخرون، عالم الكتب الحديث، إربد، ط٢، ٢٠١٤م.

٤- التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٥- التداولية وإستراتيجية التواصل، ذهبية الحاج، رؤية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٥م.

٦- التداولية: أصولها واتجاهاتها، حواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمَّان، ط١، ٢٠١٦م،١٤٣٧هـ

٧- حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، أميمة صبحي، دار كنوز المعرفة، عمَّان، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٨- ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري المسمَّى بالتبيان في شرح الديوان، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت.

٩- الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، ترجمة: أسعد رزوق، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٢م.

١٠- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

١١- صحيح الأدب المفرد ،البخاري ، تحقيق: محمد الألباني ،دار الصديق، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

١٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م.

١٣- فن المقالة، محمد نجم، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠١١م.

١٤- في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م.
١٥- في عين العاصفة، غازي القصيبي، جداول للنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.
١٦- قاموس الأدب والأدباء في المملكة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٣٥هـ.
١٧- قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٨م.
١٨- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي وآخر، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
١٩- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
٢٠- مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة، ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية: سلسلة الندوات بتطوان، ٢٦ – ٢٧ شعبان ١٤١٧م، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٨م.
٢١- معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبه، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤م.
٢٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٧م.
٢٣- المقاربة التداولية للأدب، إلفى بولان، ترجمة: محمد تنفو وآخر، رؤية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٨م.
٢٤- من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، أفريقيا الشرق، ٢٠١٤م.
٢٥- من بلاغة النظم العربي: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عبد العزيز عرفة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.
٢٦- النص والسياق، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٣م.
٢٧- نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، جميل حمداوي، نسخة إلكترونية محفوظة في موقع المؤلف: http/hamdaoui.Ma/news.php.
٢٨- الهويات القاتلة: قراءات في الانتماء والعولمة، أمين معلوف، ترجمة: نبيل محسن، دار ورد، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.

ب- **المجلات:**

٢٩- مجلة كلية دلتا العلوم والتكنولوجيا، العدد الثاني، سبتمبر ٢٠١٥م، بحث تقنية التكرار من منظور الوظيفة الحجاجية الاتصالية، حاكم عمارية.